موقف الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين من التدخل العثماني في منطقة عسير 1311هـ. 1894م، دراسة وثائقية.

بكيل محمد محمد الكليبي

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة ذمار

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على موقف الإمام محمد بن يحيى حميد الدين من التدخل العثماني في منطقة عسير 1311هـ الموافق 1894م، والتعرف على الأوضاع السياسية في اليمن، واقتضت الدراسة استخدام منهج البحث التاريخي لتحليل الوقائع والأحداث وترتيب تسلسلها التاريخي، احتوت الدراسة على مقدمة وخاتمة وأربعة محاور، تناولت المقدمة مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها، أما المحور الأول فتناول النص الحرفي للوثيقة ونقدها، وتناول المحور الثاني مصطلحات الوثيقة ورموزها، أما المحور الثالث فتناول الأفكار التي ناقشتها الوثيقة، في حين استعرض المحور الرابع والأخير التحليل التاريخي للوثيقة، وتناولت الخاتمة النتائج التي توصلت إليها الدراسة لعل من أهمها تفسير التحليل التاريخي للوثيقة للأبعاد التاريخية الكامنة وراء الموقف السياسي للإمام المنصور محمد بن يحيى تجاه التدخل العثماني في عسير.

الكلمات المفتاحية: موقف، الإمام المنصور، عسير، التدخل العثماني، اليمن.

The attitude of Imam Mohammed bin Yahya Hamiduddeen from Ottoman intervention in Asir area 1311 AH, 1894 AD

Abstract:

The study aimed at highlighting the attitude of Imam Mohammed bin Yahya Hamiduddeen from Ottoman intervention in Asir area 1311 AH, 1894 AD and identifying the political situation in Yemen. The study used the historical approach. The study contained an introduction, four axes and conclusion. The introduction presented study problem, objectives and significance. The first axis, addressed the original text of the document and its criticism. The second axes of document dealt with its terminology and symbols while the third axis discussed the thoughts argued in the document. The fourth and final axis reviewed the historical analysis of the document. The conclusion summarized the results which the most important of them is explaining the historical dimensions underlying the political attitude of Imam alMansour, Mohammed towards Ottoman interference in Asir.

Keywords*: *Attitude, Imam alMansour, Asir, Ottoman interference, Yemen.

المقدمة:

تعد الوثائق التاريخية المتنوعة مصدراً مهماً ، من مصادر التاريخ نظراً لما تتضمنه من معلومات تاريخية قيمة تختزن بين طياتها العديد من الأحداث والوقائع، إذ تحتوي إشارات واضحة تسلط الضوء، على بعض الاحداث التي عاصرتها، وتعطينا هذه الاشارات كماً معرفياً لا غنى للباحثين المهتمين عنه، باعتبار الوثيقة مادة جديدة لم يسبق الاستفادة منها، أو التطرق لها، وهذا الأمر يمنح الوثيقة قيمة علمية قيمة ومميزة، عما سواها من المصادر الأخرى، كونها شاهد عيان موثوق به يتضمن معلومات تاريخية جديدة، معاصرة للأحداث، بصورة تمنح الباحث القدرة على معالجة بعض الفجوات التاريخية التي اكتنفها الغموض، ولم يسبق للباحثين سدها نتيجة انعدام المعلومة الكافية، والضافية عن الموضوع التاريخي محور الدراسة، نتيجة اكتنافه الغموض، والنقص الذي اعتراه في سرد بعض الأحداث والوقائع، التي يحتاجها الباحثون لرفد دراساتهم بها، بأسلوب علمي رصين، من خلال استخدامهم للوثيقة التاريخية الجديدة التي وقعت بين أيديهم، وتحمل كماً معلوماتياً كبيراً تساعد الباحث في دراسته وتمنحها قيمة علمية جديدة

ومتميزة، وفرتها الوثيقة التاريخية، لتمنح الباحثين اكتشاف أحداث ومسارات تاريخية جديدة لم يسبق للباحثين الإشارة إليها، في دراساتهم.

تشكل الوثائق التاريخية المتنوعة، والمختلفة باختلاف أنواعها ومصادرها، كنزاً معلوماتياً يختزن كماً معرفياً قيماً، يعد رافداً علمياً جديداً يعطي الباحثين القدرة على الوقوف الموضوعي لمعالجة الأحداث والوقائع بمهنية عالية، لاسيما تلك المواضيع التاريخية التي أدخل عليها كم هائل من التزييف والتصحيف، قبل أن يمتلك الباحث الدليل العلمي الذي تتضمنه الوثيقة، وتمنحه القدرة على قراءة الأحداث واستنباط ما وراءها، ونسف الحقائق التاريخية التي تم تزويرها، وتصحيح الحقائق التاريخية، وفق المعطيات الجديدة، من خلال عملية التحليل العلمي لمضمون الوثيقة وتتبع سير الاحداث التي تضمنتها الوثيقة بين طياتها، بشكل يمنح الباحث القدرة العلمية، على الاجابة الموضوعية، عن الاحداث التاريخية التي اكتنفها الغموض والنقص، أو اللبس، والزيف، كون الوثيقة مستند رسمي يقدم للباحثين القدرة على قراءة الأحداث بأسلوب علمي دقيق نظراً للكم المعرفي الكبير، لذلك تحتاج إلى تحقيق علمي موضوعي دقيق ورصين لمحتوى الوثيقة، وتحليل أفكارها وقراءتها بأسلوب منهجي علمي محايد وغير متعصب للوقوف على الحقائق بموضعية ومهنية، حتى يتمكن الباحث من استخدامها في دراسته التاريخية التي يقوم بها، في الفترة التاريخية التي أشارت إليها الوثيقة، لتغطية الفجوات العلمية بمعلومات جديدة تمنح الدراسة قيمه علمية متميزة.

مشكلة الدراسة:

تضمنت الدراسة قيام الباحث بتحقيق وثيقة تاريخية تناولت موقف الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين من تدخل الدولة العثمانية في إقليم عسير؟ وإثارة سؤال اشكالي: ما هو موقف الإمام المنصور محمد بن يحيى من التدخل العثماني في عسير؟ وكيف تعامل معه؟ وهل كان له دور في تحريك الأوضاع في عسير؟

أهمية الدراسة:

تشكل هذه الدراسة أهمية نوعية كونها دراسة جديدة، وتمثل إضافة جديدة ومتخصصة لرفد المكتبة اليمنية والعربية بدراسة تاريخية جديدة كون الوثيقة يتم تحقيقها لأول مرة.

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى نقل الوثيقة من خطها العربي القديم إلى الخط العربي الحديث ونقدها بطريقة علمية رصينة.
- تعريف مصطلحات الوثيقة ورموزها التي احتوتها مضامين الوثيقة لتسهيل عملية فهمها.
- توضيح الأفكار التي ناقشتها الوثيقة من خلال تحليل محتوى الوثيقة.
- تحليل المضمون التاريخي للوثيقة وتفسيره بأسلوب علمي رصين.

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة استخدام منهج البحث التاريخي لتحليل مضمون الوثيقة وقراءة أفكارها وتحليل سياقها السياسي، وتفسير مضمونها التاريخي.

محتوى الدراسة:

- **المقدمة:** تضمنت مشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها.
- **المحور الأول:** النص الحرفي للوثيقة ونقدها.
- **المحور الثاني:** مصطلحات الوثيقة ورموزها.
- **المحور الثالث:** الأفكار التي ناقشتها الوثيقة.
- **المحور الرابع:** التحليل التاريخي للوثيقة.
- **الخاتمة:** وفيها نتائج ما توصلت إليه الدراسة.

المحور الأول: النص الحرفي للوثيقة ونقدها.

" إمام المتقين المنصور بالله رب العالمين....

الشيخ المحب الماجد الهمام الاوحد المجاهد من علا ذكره وطاب إبراهيم ابن عبدالوهاب وكافة الانصار رجال المع سلمهم الله وافاض عليهم من احسانه وانعامه وسحايب الاكرام والسلام التام عليكم ورحمت الله وصلى الله وسلم على محمد الذي اشرقت شمس طلعته واضأت لامته نور هدايته وعلى آله الذين قفوا اثاره في الاقدام والاحجام واماتوا

ما شرعه المبطلون من موبقات الآثام ننهي اليكم انه لما بلغنا عنكم ما يسر المؤمنين ويحرج صدور اعداء الدين وتحققنا نجدتكم وعدم تصديق المخادعة لكم اضرمنا نيران الحرب على اعداء الله في كل بلاد وبعثنا السرايا إلى الاغوار والانجاد وتابعنا عليهم النكاية متعينين بمن بيده ازمة الامور في البداية والنهاية فكونوا حيث الامل ولا تشتغلوا بمحاربتهم بتسويف ولا عمل ان تنصر الله ينصركم ويثبت اقدامكم واعلموا انها لو ترجع للأعاجم الكرة ويثن لهم العنان كيف يصنعوا بأنصار دين الرحمن فالله الله في الحزم وما علمتم منه من العرب يكاتب اعداء الله او يراطب فقتله اقدم من الصلاة الوسطا فلا يرضى بهلاكه المسلمين الا طمعاً فيما يُعطا قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين طهروا منهم ارضكم وديارکم والله معكم فهم الفرقة الطاغية والفئة الباغية انزلوها بحيث انزلها الله بدار الهوان والاتعاس فلا تهولنكم اراجيفهم الكاذبة فقد فللتم حد شوكتهم بما نالوا به سو العاقبة ولاتهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون شيدوا مباني عزكم وعز بارئكم وأزيلوا ما قدمه اعداء الله وامحو آثارهم تعاضدوا وتعاقدوا عليهم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ثبتكم الله وأحيابكم معالم الدين وشد بكم ازر عترة رسوله الامين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته حرر يوم الاحد 23 ذي القعدة 1311هـ " (x.com/*arabhistoryp*).

نقد الوثيقة:

أ. النقد الباطني للوثيقة:

. كتبت الوثيقة بخط اليد في نصف ورقة، بيضاء لا يوجد بها أي شعار رسمي سوى دائرة منقطة كتب عليها عبارة إمام المتقين المنصور بالله رب العالمين.

. افتتحت الوثيقة بالبسملة في أعلاها ثم دائرة منقوطة تبين الشخص المرسل وصفته الرسمية.

. حملت الوثيقة الصفة الرسمية بوجود عبارة الإمام المنصور في أعلى الرسالة.

. تكونت الوثيقة من ثلاثة عشر سطراً بدون البسملة، والعبارة التي اعتلتها من ثلاثة أسطر بينت صفة المرسل ومكانته.

. لون الحبر الذي كتبت به الوثيقة أسود غامق، في كل الكتابة.

. شكل الورقة التي كتبت فيها الوثيقة مستطيلة.

ب . النقد الظاهري:

. الوثيقة عبارة عن رسالة من الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين إلى قبيلة ألمع في عسير، عبرت عن موقف الإمام من التدخل العثماني في منطقة رجال ألمع وحثه شيخها على مواصلة مقاومة العثمانيين.

. لم تخل الوثيقة من الاخطاء الإملائية وطغى عليها طابع المدح والسجع في مقدمتها.

. كتبت الوثيقة بلغة عربية دبجت بآيات من القرآن الكريم تم الاستشهاد بها في سطور الرسالة.

. تميزت الرسالة بتحريض الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين قبيلة ألمع في عسير ضد الدولة العثمانية بحثهم على قتالهم، وقتل كل من يتعاون معها من أهل عسير.

. حاول الإمام المنصور محمد بن يحيى مؤازرة قبيلة رجال ألمع ضد العثمانيين وبين لهم وقوفه معهم حتى لا يصيبهم الوهن في مواجهة العثمانيين الذين وصفهم بالفرقة المارقة والباغية التي إن تسلطت على أهل ألمع ستفتك بهم.

. جمع الإمام المنصور في هذه الوثيقة العديد من الشواهد القرآنية التي تم توظيفها في جانب حشد طاقة قبيلة ألمع لمواجهة الدولة العثمانية.

المحور الثاني: مصطلحات الوثيقة ورموزها:

1- **المنصور بالله(1839-1904م):** هو الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين، يعد من الجيل الثامن من آل القاسم بن محمد وهو مؤسس حكم أسرة بيت حميد الدين ولد ونشأ في صنعاء وكان عالماً وفقيهاً وشاعراً، كان من أتباع الإمام محسن بن أحمد وأحد القادة والرئاسة قبل مجي العثمانيين إلى اليمن للمرة الثانية عام 1872م، وخدم في عهدهم في قضاء حجة، ثم ترك العمل مع العثمانيين،

وعاد إلى صنعاء، فكان من جملة علمائها الذين سجنهم الوالي العثماني مصطفى عاصم باشا أو آخر عام 1877م، في صنعاء، ثم نقلهم إلى الحديدة وقضى في السجن عامين، وبعد إطلاقه من السجن عاد إلى منزله في صنعاء، وعندما توفى الإمام الهادي شرف الدين في صعدة عام 1889م، استدعي إليها وبايعه العلماء وقاد لواء المقاومة اليمنية ضد العثمانيين في اليمن حتى توفى عام١٩٠٤م (العمري، ٢٠٠٣م، ص ١٢١١-١٢١٢).

2- **الشيخ:** من بان عليه تقدم العمر وظهر عليه الشيب، ويقال: شيخان وشيوخ، والشيخ رجل علم ودين في الوقت الحاضر، وهو لقب يطلق، على منصب زعيم القبيلة ورجلها الأول في اليمن حالياً (الكليبي، ٢٠٢٤م، ص ٧٩).

3- **إبراهيم بن عبد الوهاب:** هو الشيخ إبراهيم بن عبد الوهاب بن متعالي ينحدر بالنسب إلى بطن بنو قيس بن مسعود، وقطنوا في سفوح جبل قيس ووادي حسوة، ويبلغ عددهم خمسة عشر ألف نسمة، وهم قادة اللواء في الحروب، وتعد عائلة آل المتعال أشهر عوائل رجال ألمع وفيهم القيادة (شاكر، د.ت، ص ٨٠-٨١).

4- **رجال ألمع:** تقع بلاد رجال ألمع ما بين أبها والبحر الأحمر وتمتد على طول خمسة أميال تقريباً، وبعرض خمسة وعشرين ميلاً، وتجاورهم قبيلة بحر بن سكينة وبني ثومة في الشمال وربيعة ورفيدة، وعلكم الهول وبني مغيد وربيعة اليمن في الشرق وبني شعيبة في الجنوب والمنجحة وبني هلال في الغرب وعلى الرغم من عدم تعددهم مثل بعض القبائل الأخرى فهم أكثر القبائل شهرة في الشجاعة والجرأة في الحرب، وفي شؤونهم الداخلية لديهم اعتزاز باستقلالهم ودخلوا في عداء مع الدولة العثمانية (كورنسواليس، ٢٠٠٩م، ص١٠٢-١٠٣). ورجال ألمع تعد من أكبر قبائل تهامة، وأكثرها عدداً، إذ يبلغوا قرابة المائة ألف نسمة، وتقع مساكنهم في الجهة الغربية من عسير، وألمع تنقسم إلى قسمين هما: ألمع الشام أي الشمال وهم يقدرون بثلث العدد الكلي لقبيلة ألمع، وألمع اليمن، أو الجنوب وهم ثلثان من العدد الكلي لقبيلة ألمع المتواجدين في اليمن جنوب عسير (شاكر، د.ت، ص ٧٨).

5- **المبطلون:** من الباطل: نقيض الحق، والجمع أباطيل على غير مقياس (ابن منظور، ج١، ١٣٣٠هـ، ص ٣٠٢).

6- **موبقات:** جمع ومفرده موبقة، الكبائر من المعاصي والذنوب المهلكات قال: تاب في شيخوخته بعد ارتكابه الموبقات في شبابه (عمر، ج٣، ٢٠٠٨م، ص ٢٣٩٣).

7- **تحققنا:** تحقق الامر: صح ووقع، ويقال: والأمر عرف حقيقته (الزيات، واخرون، ج١، ١٣٨٤هـ، ص ١٨٨).

8- **اضرمنا:** ضرم يضرم ضرماً، فهو ضارم وضرم، ضرمت النار: أتقدت، اشتعلت، التهبت، اشتد حرها، وقيل: ضرم الشخص: اشتد غضبه، أو جوعه (عمر، ج٢، ٢٠٠٨م، ص ١٣٦٠).

9- **بعثنا:** بعثاً، وبعثه: أرسله وحده، ويقال: بعثه إليه وله: أرسله؛ وبعث بالكتاب ونحوه، ويقال: بعث فلاناً من نومه بعثاً: أيقظه وأهبه (الزيات، واخرون، ج١، ص ٦٢).

10- **السرايا:** من سرية وهي وحدة عسكرية مشكلة من 3 إلى 5 فصائل ويتراوح عدد أفرادها من 62 إلى 190 فرداً ويستخدم مصطلح سرايا في التشكيلات العسكرية البرية **(Technical,1969,p.58)**.

11- **الأغوار:** ومفردها غار، وجمعها أغوار وغيران: كهف، مغارة، بيت منقور في الجبل، وقيل أغوار النفس أعماقها (عمر، ج٢، ٢٠٠٨م، ص ١٦٤٩).

12- **الأنجاد:** من أنجاد أي اشداء شجعان؛ وقيل: أنجاد جمع الجميع نجداً على نجاد (ابن منظور، ج٦، ١٣٣٠هـ، ص ٤٣٤٨).

13-**النكاية:** نكى العدو، وفيه نكاية: أوقع به هزمه وغلبه، ويقال: نكى العدو: انهزم وغلب وقهر (الزيات، واخرون، ج٢، ١٣٨٤هـ، ص٩٥٣-٩٥٤).

14- **تسويف:** سوف فلان تسويفاً، ويقال: سوف فلاناً: ساوفه، ماطله" التسويف يسرق الوقت" سوف الأمر سوف بالأمر: قال: سوف أفعله ولم يفعله (عمر، ج٢، ٢٠٠٨م، ص ١١٣٦).

15- **الأعاجم:** خلاف العرب الواحد: عجمي، نطق بالعربية أو لم ينطق وعلم على الفرس خاصة، العجم: خلاف العرب (الزيات، واخرون، ج٢، ١٣٨٤هـ، ص ٥٨٦)، وهذا المصطلح أطلقه اليمنيون على العثمانيين في اليمن.

16- **يكاتب:** من كتب ليكتب، كتابةً، وكتاباً وكتباً، فهو كاتب، يقال: كتب المخطوط ونحوه: نسخه، كتب رسالة، كاتب يكاتب مكاتبة، فهو مكاتب، ويقال: يكاتب صديقه مادام مسافراً، مكاتبات سياسية، مراسلات (عمر، ج٣، ٢٠٠٨م، ص ١٩٠١-١٩٠٢).

17- **يراطب:** بمعنى يداهن.

18- **فللتم:** فل عن فللت، يفل، أفلل/ فل، فهو أفل، والمفعول مفعول للمعتدي، ويقال: فل القوم: كسرهم وهزمهم، وتفل القوم: تفرقوا مهزومين من القتال (عمر، ج٣، ٢٠٠٨م، ص ١٧٤٣).

19- **أزر:** أزر الزرع أزراً: التف فقوى بعضه بعضاً، ويقال: نصره نصراً مؤزراً: شديداً قوياً، والأزر: القوة: ويقال: شد أزره: قواه (الزيات، واخرون، ج١، ١٣٨٤هـ، ص ١٥-١٦).

20- **عترة:** عترة ذرية، نسل من عترة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعترة الرجل: نسله ورهطه وعشيرته (عمر، ج٢، ٢٠٠٨م، ص ١٤٥٤).

21- **23 ذي القعدة 1311هـ:** 21 مايو 1894م.

المحور الثالث: الأفكار التي ناقشتها الوثيقة.

شكلت عسير نقطة استراتيجية في توجهات الدولة العثمانية نحو اليمن بعد أن حاول أميرها محمد بن عايض (محمد بن عايض (....-1872م): هو محمد بن عايض بن مرعي من بني مغيد أمير بلاد عسير ووواليها في حداثة سنه تولاها عام 1857م، بعد وفاة والده مرعي، وتم إقراره من الدولة العثمانية في عسير، وظل أميراً عليها حتى طمع بضم تهامة إلى عسير فوجه قواته ضد العثمانيين وتمكن من السيطرة على بعض المناطق حتى تمكنت الدولة العثمانية من القضاء عليه عام 1872م. الزركلي، ج٥، ٢٠٠٢م، ص ١٧٩)، استغلال الظروف السياسية التي تمر بها الدولة العثمانية عام 1287هـ الموافق 1870م، وقاد ضد العثمانيين حمله عسكرية شملت معظم مناطق تهامة مدعياً، قيام الأخيرين بارتكاب المنكرات، ومنها شرب الخمر، وارتكاب بعض الأعمال المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فتمكن من السيطرة على بعض المناطق، ومنها أبي عريش التي مكث فيها شهراً، ثم أمر قواته بالزحف نحو اللحية ووادي مور، ولم يكن أمام القوات العثمانية المتواجدة في تهامة سوى التجمع في مدينة الحديدة، وقاموا ببناء خط دفاعي حصين لمواجهة أمير عسير، في المقابل توجه أمير عسير نحو زبيد وبيت الفقيه، اللتان أذعنتا له دون مقاومة تذكر، وحاول أهالي باجل الاتصال بقوات أمير عسير، معتقدين أن قوات إمارة عسير ستتمكن من السيطرة على اليمن، وهذه التوجهات لم ترض القوات العثمانية التي تتمركز في الحديدة، وأصبحت محاطة بقوات أمير عسير، فبادر العثمانيون إلى المواجهة مع الأخير في معركة حامية راح ضحيتها مئتي جندي عثماني، وثلاثمائة عسكري من قوات أمير عسير (مجهول، ١٩٩١م، ص ٢٨٦).

أثارت هذه الاطماع السياسية لأمير عسير مخاوف العثمانيين الذين تحركوا عام 1871م، فتقدمت قواتهم بقيادة أحمد رديف باشا الذي وقعت بينه وبين الأمير محمد بن عايض معارك كبيرة قتل فيها أعداد كبيرة من الطرفين، وكان من نتائجها إدراك أهل عسير مدى مغامرة أميرهم محمد بن عايض في مواجهة الدولة العثمانية، فعملوا على الابتعاد عن مناصراته، لاسيما بعد أن لمسوا منه الظلم والجور بحقهم نتيجة قوة سطوته وسيطرته عليهم فانصرفوا عنه باتجاه العثمانيين، الذين حاولوا شراء الأهالي بالأموال، التي ترتب عليها استمالة أعداد كبيرة من أعيان عسير نحو العثمانيين واستعدادهم لتقبل وجود

العثمانيين داخل عسير انتقاماً من الأمير محمد بن عايض، الذي أدرك مدى الفشل الذي لحق به وانصراف الأهالي من حوله نتيجة تذمرهم من تصرفاته، فاعتزل هو وأتباعه نحو احدى القلاع التي تحصن بها مع أتباعه وعندما بلغ العثمانيين هذا الخبر بادروا بمحاصرته في قلعة ريدة في عسير، واطبقوا عليه حصاراً خانقاً وشديداً فضلاً عن دك المدفعية العثمانية القلعة بقذائفها بشكل عنيف وقاس، وعندما سكن القصف المدفعي بعد عملها الذي استمر ليلاً ونهاراً، وصل الأمير محمد بن عايض إلى قناعة بعدم جدوى البقاء داخل قلعة ريدة محاصراً، فقرر الخروج إلى العثمانيين واعلنوا له الأمان وعند وصوله إليهم استقبلوه بالترحيب فمال إلى عقد الصلح معهم، وتمكنوا بهذه الحيلة من طمأنة بن عايض متحينين الفرصة المناسبة لقتله، بعد ان يتمكنوا من استكمال الاجراءات الخاصة بالسيطرة على جميع مناطق عسير، بما في ذلك السيطرة على قلعة ريده مقر محمد بن عايض، وعندما تمكن العثمانيون من تحقيق هذه الأهداف المرسومة، قبضوا عليه وأعدموه، ثم أرسلوا جميع أفراد عائلته مكبلين إلى العاصمة إسطنبول، ومكنتهم هذه الأحداث من إحكام قبضتهم على إمارة عسير كخطوه أولى ممهدة للعودة للسيطرة على ولاية اليمن عام 1872م (مجهول، ١٩٩١م، ص ٢٨٨-٢٨٩). ونجحوا في تحقيق هذا الأمر، بعد أن لمسوا حالة التمزق والشتات التي يعيشها المجتمع اليمني، فتمكنوا من إعادة اليمن للدولة العثمانية، بالقوة والغلبة، لكن هذا الأمر لم يطل، إذ سرعان ما التف اليمنيون حول الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين الذي بايعه العلماء عام 1890م، إماماً للمذهب الزيدي وقائداً للمقاومة اليمنية ضد العثمانيين (شرف الدين، ١٩٦٤م، ص ٢٦٥).

كانت عسير اللواء الرابع لليمن في التنظيم الإداري الجديد الذي أحدثه العثمانيون في ولاية اليمن بعد ضمها للدولة العثمانية عام 1872م، إلى جانب لواء صنعاء، ولواء تعز، ولواء الحديدة، وضم (سنجق) عسير عدداً من الأقضية هي: قضاء محائل، وقضاء رجال ألمع، وقضاء قنفدة، وقضاء بني شهر، وقضاء غامد، وقضاء صبيا، وكان هذا اللواء يتبع مركز الولاية في صنعاء (سلنامة، ١٢٩٨هـ، ص ٧٧-١٠٨).

ساهم تعسف العثمانيين بأبناء اليمن في عسير، في حملهم للخروج بثورة ضد العثمانيين بمساعدة الإمام المنصور محمد بن يحيى الذي كان على اطلاع بهذه التحركات، لاسيما بعد أن أساء متصرف عسير في تعامله مع أحد ابناء كبار مشائخ رجال ألمع إبراهيم بن عبد الوهاب، كما زاد من تعسفه بتحميله مبالغ مالية دون وجه حق، ولم يكتف متصرف عسير بهذا التصرف بل عمد إلى حلق لحية إبراهيم، الذي بلع هذه الإهانة وأظهر الرضا بالموافقة على كل طلبات المتصرف ومنها الموافقة على دفع مبلغ (ألفي ريال فضي) وبعد خروجه جمع رجال عسير وأبلغهم عن الإهانة التي لحقت به فاجتمع رأيهم على الانتقام له من العثمانيين والفتك بهم، فتقدموا لمواجهة العثمانيين الذين جمعوا قرابة ثلاثمائة جندي لمواجهتهم، وفي بداية الحرب كانت الغلبة للجنود العثمانيين الذين استخدموا المدافع لتفريق رجال عسير، لكن الأخيرين حاولوا خداع العثمانيين في النهار وكمنوا لهم في الليل، واشتبك الطرفان بالأسلحة اليدوية (الخناجر)، وخلال المعركة تمكن الشيخ إبراهيم بن عبدالوهاب من قتل المتصرف العثماني محمد أمين باشا الذي أهانه وحلق لحيته، وانهزم العثمانيون وبلغ عدد قتلاهم قرابة المائة فرد (زبارة، ج٢، ١٣٧٦هـ، ص ١٣٩-١٤٠).

انتشرت أخبار الصدام المسلح بين أهالي عسير والجنود العثمانيين في شهر رمضان عام 1894م، إذ تناول الناس أخبار هذا الصراع الذي قام به رجال ألمع في عسير ضد العثمانيين، نتيجة الظلم الذي حل بهم، وزيادة أعمال العنف مع الأهالي، وكانت لهذه الاخبار الواردة من عسير ردة فعل من الوالي (الوالي: يقصد به المشير أحمد فيضي باشا الذي تولى ولاية اليمن ثلاث مرات الأولى عام 1884م حتى 1886م، ثم عين للمرة الثانية عام 1891م حتى 1898م، والثالثة من 1905م، حتى توفى في اليمن عام 1908م. (الجرافي، ١٩٩٢م، ٢٣٦-٢٣٧)، العثماني في صنعاء الذي أبلغ الأهالي باستحالة تسيير قافلة الحجاج التي تتجه نحو الحجاز من عسير، وتم إبلاغ من يرغب بالحج بالذهاب نحو الحديدة للسفر عبر البحر، وهذا الصراع لم يكن بعيداً عن تأثير الإمام المنصور محمد بن يحيى، الذي حث رجال ألمع على مهاجمة العثمانيين في عسير(مجهول، ١٩٩١م، ص ٥٣٧)، وكان من نتائج

ذلك أن خلفت الهجمات على العثمانيين العديد من القتلى (الجرافي، ١٩٩٢م، ص ١١٤)، وبعد انتهاء المعركة أبلغ رجال ألمع الأمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين بالنصر الذي احرزوه، فشد على أيديهم بمواصلة قتال العثمانيين (x.com/*arabhistoryp*).

يتبين مما تقدم أن عملية المقاومة اليمنية ضد العثمانيين سعت إلى تحقيق الآتي:

1- رفع الظلم عن كاهل اليمنيين بعد أن يئس الأهالي من انتزاع حقهم من العثمانيين.

2- وجود تنسيق غير مباشر بين الإمام المنصور محمد ورجال المقاومة في مختلف مناطق اليمن.

المحور الرابع: التحليل التاريخي للوثيقة.

شهدت العلاقات السياسية بين الأئمة في اليمن والدولة العثمانية توتراً مستمراً منذ الوهلة الأولى للوجود العثماني، في اليمن الذي اتسم بالعنف والقسوة نتيجة تصرفات بعض الولاة العثمانيين مع الأهالي بالتعسف الأمر الذي ساهم في تذمر الناس والتفافهم حول الأئمة الذين قادوا المقاومة اليمنية ضد العثمانيين في جميع مناطق اليمن، واستطاع اليمنيون بفضل ذلك تكبيد الدولة العثمانية خسائر فادحة حتى أصبحت ولاية اليمن بمثابة عقاب للجنود والقادة العثمانيين، وهذا الأمر انعكس سلباً على اليمنيين نتيجة تصرفات هؤلاء الجنود في تعاملاتهم مع اليمنيين التي اتسمت بالقسوة ونهب الأموال باستخدام القوة المفرطة، فضلاً عن زيادة الضرائب السنوية على اليمنيين، وكانت هذه الأعمال تثير سخط الأهالي وتبرمهم من هذه التصرفات التي اثقلت كاهل اليمنيين وشجعتهم على الخروج بثورات بين الفينة والأخرى.

استنزفت اليمن طوال فترة الوجود العثماني الثاني طاقة الدولة في إرسال الحملات المتواصلة إلى هذه الولاية النائية لإخماد الثورات التي كانت تخرج ضدهم بين الفينة والأخرى نتيجة الظلم والتعسف الذي مارسه العثمانيون في اليمن فالولاة الذين أرسلتهم الدولة العثمانية، كان همهم جمع المال بأي وسيلة، وطريقة ممكنة من أجل شراء مناصب جديدة بعد خروجهم من اليمن، من خلال إغداق المال على حاشية السلطان العثماني لإصدار فرمان جديد يعين هذا الوالي الذي خرج من اليمن في ولاية جديد، وكانت ولاية مصر من أهم الولايات التي لهث ولاة اليمن العثمانيين على أن ينهبوا أموال اليمنيين من شراء فرمان سلطاني للتعيين في هذه الولاية، وهذا أثقل كاهل اليمنيين وأتعبهم بشكل كبير وواسع، جعلهم ينخرطون في أعمال المقاومة لمواجهة تعسف الولاة وبطشهم بالناس دون رقيب أو حسيب من الدولة العثمانية نظراً لبعد ولاية اليمن عن مركز الدولة العثمانية، في العاصمة إسطنبول.

توج اليمنيون انتصاراتهم الكبيرة على العثمانيين بفتح جبهات قتال كثيرة ومتعددة لتخفيف وطأة العثمانيين على المناطق القريبة من مركز الولاية في صنعاء، لاسيما مع وجود فارق كبير في الامكانيات المادية، والعسكرية بين العثمانيين والمقاومة اليمنية بقيادة الإمام المنصور محمد بن يحيى الذي حمل لواء المقاومة وقيادتها، بعد أن عانى من العثمانيين مرارة السجن قرابة العامين في لواء الحديدة، فالجميع اصطدم بتعنت بعض القادة العثمانيين وقسوتهم تجاههم، على الرغم من أن اليمنيين لم يبادروا بمواجهة العثمانيين، إلا بعد أن عانوا من التعسف وسوء المعاملة من بعض الولاة العثمانيين فالخروج ضد العثمانيين، كان له دوافعه ومبرراته لرفع نير الظلم عن كاهلهم بعد أن بلغت المعاناة حداً لا يطاق.

تبين الأحداث التاريخية أن اليمنيين قاوموا العثمانيين لرفع الظلم والتعسف عن كاهلهم، ولم يكن للاعتبارات الدينية، أو الاختلاف المذهبي بينهم وبين العثمانيين في اليمن أي اعتبار في هذا الصراع، على الرغم من ارتكاب بعض المخالفات الدينية مثل شرب الخمر، والتقصير في فهم الدين والصلاة وغيرها، ومع هذه الحجج الدينية الواضحة والكفيلة بتهييج مشاعر اليمنيين ضدهم، لكن ذلك لا يعني عدم وجود توظيف سياسي للدين في الصراع لتحقيق أجندات سياسية، إلى جانب رفع الظلم والقهر والتعسف التي كانت في الغالب والأعم السبب الرئيسي في انخراط اليمنيين في مقاومة العثمانيين، فضلاً عن ذلك تملكت العثمانيين العديد من المخاوف السياسية للحفاظ على أمن واستقرار ولاية الحجاز باعتبارها مركز الثقل الديني الذي يمنح العثمانيين الشرعية السياسية والدينية لقيادة العالم الإسلامي، وهذه المخاوف تجلت . بصورة أو بأخرى، في دعم بعض الأمراء الأشراف

في مكة المكرمة، للسيطرة عليها باسمهم، ومع ذلك ظلوا حريصين على فصل الحجاز عن اليمن حتى لا يتم التنسيق بين هؤلاء الأشراف واليمنيين ضد العثمانيين، وكانت عسير تمثل الحل المناسب لمنع أي تقارب يمني حجازي ضدهم، وهذا يفسر السبب المباشر في تدخلهم المستمر في المناطق اليمنية الحدودية القريبة من الحجاز، من أجل كبح جماح التصرفات السياسية التي يقوم بها بعض الأمراء الأشراف في ولاية الحجاز، وكانت هذه الخطوة من وجهة نظرهم تؤدي إلى قطع الطريق أمام أي مغامرة سياسية في المنطقة لمنع أي تواصل مستقبلي بين اليمنيين والحجازين لضمان عدم تحرك الطرفين ضدها في ولاية الحجاز، من باب درء الخطر الذي يمكن أن يتشكل ضدها.

أمام هذا التوجه العثماني حاول الأمام المنصور محمد بن يحيى استخدام جميع الوسائل الممكنة لمواجهة العثمانيين، بما في ذلك تحريض قبائل عسير ضد العثمانيين، لا سيما بعد أن شعر بحجم تذمر هؤلاء الأهالي من سوء تصرفات بعض الموظفين العثمانيين، الذين تسببوا في الغالب بظلم الناس وتعسفهم، ويبدو أن توجهات الإمام المنصور محمد بن يحيى في تحركاته لدعم ومؤازرة رجال ألمع في عسير تهدف بالدرجة الأولى إلى اشغال العثمانيين عنه وجرهم نحو الاطراف الشمالية لليمن من أجل تهيئة الاوضاع والظروف لمفاجئتهم في مركز الولاية لإخراجهم من البلاد، إذ كان من شأن التحرك في عسير أن يقود لتحقيق الآتي:

1- إضعاف الوجود العثماني في بقية الألوية اليمنية الأخرى من خلال التحريض المباشر على استمرار الحرب في عسير.
2- كسب أكبر قدر ممكن من الوقت لترتيب صفوف المقاومة في المناطق المحيطة بمركز الولاية حتى يسهل العمل في مباغتة القوات العثمانية داخل العاصمة صنعاء.
3- العمل على تحقيق عنصر المباغتة والمفاجأة للعثمانيين نظراً لعدم وجود تكافؤ مادي وعسكري بين الطرفين.
4- زيادة استنزاف العثمانيين في ولاية اليمن والحجاز من خلال اشغالهم بإرسال الحملات العسكرية نحو المناطق اليمنية القريبة من الحجاز منها إقليم عسير إبعادهم عن صنعاء.

مقاومة التدخل العثماني في عسير:

شكل إقليم عسير محل اهتمام الدولة العثمانية لقربه من ولاية الحجاز، فضلاً عن وجود رغبة لدى الإمام المنصور محمد بن يحيى في استعادة النفوذ في هذا الإقليم الذي خرج عن الدولة القاسمية في الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، ورأى العثمانيون في ذلك فرصة سياسية مواتية لملء الفراغ السياسي، محاولة انتزع النفوذ والولاء في هذا الإقليم الحدودي مع الحجاز نحوه، لاسيما مع بدا تحركات المقاومة اليمنية، في اللواء لمواجهة التدخلات العثمانية في هذا الإقليم، لترتيب أوضاعه السياسية الداخلية، وقطع جميع الروابط والصلات بين الإقليم واليمن، وهذا ما تنبه له الإمام المنصور محمد فتحرك لضرب هذه المساعي، متبعاً سياسة دعم القبائل في عسير لمواجهة التدخل العثماني في الاقليم، مبتعداً عن الاصطدام المباشر مع الدولة العثمانية، وإنما اتبع أسلوب الدعم السياسي والعسكري لرجال ألمع في الاقليم موجهاً لهم بالاستمرار في ضرب أي تواجد عثماني فيه، كما حث قبائل ألمع على حشد الطاقات والهمم بضرب أي متعاون مع العثمانيين في عسير، وقتله لما يمثله من خيانة ستجر على الإقليم عواقب سياسية وخيمة.

عبرت الوثيقة على لسان الإمام المنصور محمد بن يحيى عن التوجيه الحاد لقبيلة رجال ألمع في إقليم عسير، إذ يعد التوجيه بمثابة فتوى دينية من الإمام للقبائل لمواجهة الدولة العثمانية التي أشار لها بالفرقة الخارجة عن الدين، وهذا يعد أول استحضار مباشر للخلاف المذهبي بين الإمام المنصور محمد بن يحيى في اليمن والدولة العثمانية، على الرغم من أن الإسلام يجمع الجميع، إلا أن هذا الخلاف مشفوع بدوافع سياسية لدى الطرفين، فكل طرف يدعي أحقيته دون غيره في الحكم، وأن الشرعية الدينية معه، وكان استحضار المسوغ الديني من باب إظهار المبررات الشرعية أثناء الحرب لجمع أكبر قدر ممكن من المقاتلين في المعركة لخدمة الطموح السياسي لدى الإمام المنصور وهوا استعادة إقليم عسير إلى حضيرة نفوذه.

تبين الوثيقة أسلوب الإمام المنصور محمد بن يحيى، في بث الحمية الدينية داخل تجمع قبيلة ألمع في عسير من خلال الإشارة إليهم بأنهم

أنصاره في مواجهة أعداء الدين الخارجين عن الملة، وهذا النوع من الإشارة يهدف . بصورة أو بأخرى . إلى زيادة التأثير على المقاتلين وتعبئتهم ضد العثمانيين، إذ أن استخدام الدين يشكل عاملاً أساسياً في استقطاب المقاتلين ضد الدولة العثمانية، لاسيما أن اغلب المقاتلين الذين يتم الزج بهم في أتون الحرب، ليس لهم من هم في المعركة سوى الغيرة والحمية على الدين عند الطرفين، فالكل ادعى غيرته على الدين لخدمة أجندته السياسية سواء الإمام المنصور محمد بن يحيى، أو العثمانيين الذين برروا تواجدهم في المنطقة من البداية بحجة حماية بيضة الإسلام، ومقدساته.

مثل الدين الرافعة المثلى والمناسبة للتأثير في العوام، لماله من مكانة وقوة تأثير مباشرة في العواطف لدى البسطاء الذين دفع بهم حبهم العميق للدين إلى الاستجابة الفورية لأي دعوة تعبئة أياً كانت أهدافها ودوافعها السياسية، فالجميع حينئذ استخدم الدين باعتباره الجهاز الدعائي المناسب لتحقيق أي هدف سياسي مهما كانت صعوبته وتوجهاته، وهذا يفسر حمل الإمام المنصور محمد بن يحيى استحضار الجانب الديني في توجيهه لرجال ألمع ضد العثمانيين الذين أثارت تحركاتهم في عسير مخاوف الإمام المنصور، ودعته إلى التحرك لدعم قبائل عسير، وتحريضهم دينياً خشية من انتصار العثمانيين على رجال ألمع، الذي سيكون البداية لفتح شهية العثمانيين في استعادة السيطرة على المناطق التي لا تخضع لنفوذهم، بما في ذلك المناطق التي يسيطر عليها الأمام المنصور بشكل عملي، إذ كانت دعواته لمقاومة العثمانيين تلقى استجابة واسعة لدى اليمنيين، نتيجة ارتكاب العثمانيين بعض المخالفات الدينية.

الخاتمة:

خرجت الدراسة بالنتائج الآتية:

- مرت الوثيقة بعملية نقل مضمونها من الخط العربي القديم إلى الخط العربي الحديث ليسهل فهمها وقراءتها والتعرف عليها وعلى المعلومات الواردة فيها.
- التعريف بمصطلحات الوثيقة ورموزها لتسهيل عملية فهم معانيها وأساليبها التي دونت بها سطور الوثيقة.
- ناقشت الوثيقة جهود الأمام المنصور في دعم وتحريض مقاومة رجال ألمع ضد العثمانيين في عسير.
- فسر التحليل التاريخي للوثيقة الأبعاد التاريخية الكامنة وراء الموقف السياسي للإمام المنصور محمد بن يحيى تجاه التدخل العثماني في عسير.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن منظور.(1330هـ). *لسان العرب*، ج1، ط٢، تحقيق: الكبير، عبد الله علي، وآخرون، القاهرة، دار المعارف.

ابن منظور.(١٣٣٠هـ). *لسان العرب*، ج6، ط٢، تحقيق: الكبير، عبد الله علي، وآخرون، القاهرة، دار المعارف.

الزيات، أحمد؛ وآخرون.(١٣٨٤هـ). *المعجم الوسيط*، ج1، ط٦، طهران، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.

الزيات، أحمد؛ وآخرون.(١٣٨٤هـ). *المعجم الوسيط*، ج2، ط٦، القاهرة، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد.(٢٠٠٦م). *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، تحقيق: حلاق، محمد حسن، ج١، ط١، دمشق، دار ابن كثير.

العمري، حسين عبد الله. (٢٠٠١م). *تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (922-1336هـ / 1516-1918م)، من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين*، ط٢، دمشق، دار الفكر.

العمري، حسين عبد الله.(١٩٨٤م). *مئة عام من تاريخ اليمن الحديث (1161-1264هـ / 1748-1848م)*، ط١، دمشق، المطبعة العلمية، دمشق.

الكبسي، محمد بن إسماعيل.(٢٠٠٥م). *اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية*، تحقيق: الأذرعي، خالد أبا زيد، ط١، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد.

الكليبي، بكيل محمد.(٢٠٢٤م). *أحوال مصر والحجاز من خلال رسالة الشيخ إبراهيم العباسي للوزير أحمد باشا 17 صفر 1218هـ الموافق 31 مايو 1803*، *المجلة العربية للدراسات التاريخية*، العدد 9. ٧٣-٩١.

جحاف، لطف الله.(٢٠٠٤م). *درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين*، تحقيق: الرعوي، عارف محمد عبد الله، ط١، صنعاء، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة.

رسالة الإمام المنصور *إلى الشيخ إبراهيم بن عبد الوهاب وكافة رجل ألمع في عسير*، وثيقة منشورة في مركز التاريخ العربي للنشر على منصة إكس:

https://x.com/arabhistoryp/status/1276835485126660103?t=UeKLZnBWPBgldV624wj3nQ&s=08

شاكر، محمود.(د.ت) *مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا 14 شبه جزيرة العرب 1 عسير*، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي.

عمر، أحمد مختار.(٢٠٠٨م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ج2، ط١، القاهرة، عالم الكتب.

عمر، أحمد مختار.(٢٠٠٨م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ج3، ط١، القاهرة، عالم الكتب.

كورنسواليس، كيناهان.(٢٠٠٩م). *عسير قبل الحرب العالمية الأولى*، ط١، تحقيق ونشر: الشهراني، علي بن سعد آل زحيفة.

Technical (1969). *Operations, Incorporated*.

الملاحق:

الملحق الأول

(x.com/*arabhistoryp*).

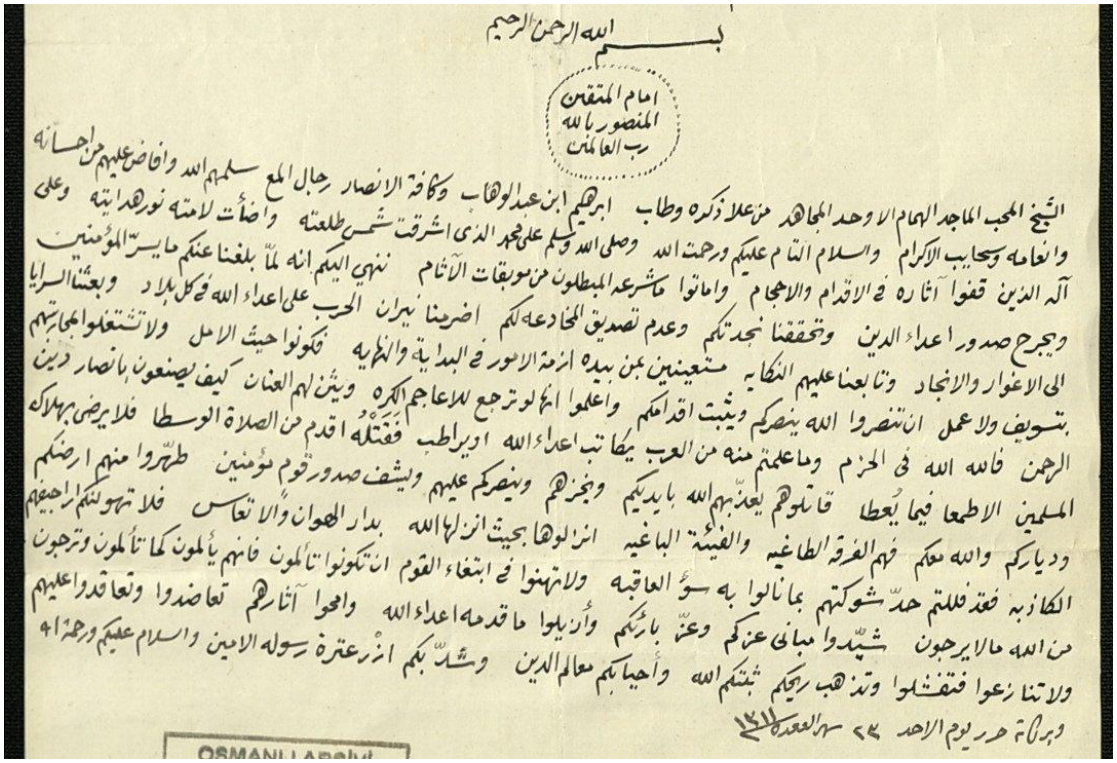
بسم الله الرحمن الرحيم

امام المتقين
المنصور بالله
رب العالمين

الشيخ المحب الماجد الهمام الاوحد المجاهد من علا ذكره وطاب ابرهيم ابن عبد الوهاب وكافة الانصار رجال المع سلمهم الله وافاض عليهم من احسانه
وانعامه وسحايب الاكرام والسلام التام عليكم ورحمة الله وصلى الله وسلم على محمد الذى اشرقت شمس طلعته واضأت لامته نور هدايته وعلى
آله الذين قفوا آثاره فى الاقدام والاحجام واما تواتر مكاشرعه المبطلون من موبقات الآثام ننهى اليكم انه لما بلغنا عنكم ما يسر المؤمنين
ويجرح صدور اعداء الدين وتحققنا نجدتكم وعدم تصديق المخادعه لكم اضرمنا نيران الحرب على اعداء الله فى كل بلاد وبعثنا السرايا
الى الاغوار والانجاد وتابعنا عليهم النكاية مستعينين بمن بيده ازمة الامور فى البداية والنهاية فكونوا حيث الامل ولا تشتغلوا بجباتهم
بتسويف ولا عمل ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم واعلموا انها لو ترجع للاعاجم الكره ويثن لهم العنان كيف يصنعون بانصار دين
الرحمن فالله الله فى الحزم وما علمتم منه من العرب يكاتب اعداء الله اويراطب فقتله اقدم من الصلاة الوسطا فلا يرضى بهلاك
المسلمين الاطمعا فيما يعطا قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين طهروا منهم ارضكم
ودياركم والله معكم فهم الفرقة الطاغيه والفيئة الباغيه انزلوها بحيث انزلها الله بدار الهوان والاتعاس فلا تهولنكم اراجيفهم
الكاذبه فقد قللتم حدّ شوكتهم بما نالوا به سوء العاقبه ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله مالا يرجون شيّدوا مبانى عزكم وعفّوا بأثركم وأزيلوا ما قدمه اعداء الله واهوا آثارهم تعاضدوا وتعاقدوا عليهم
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ثبتكم الله وأحيا بكم معالم الدين وشدّ بكم انزعة رسوله الامين والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته حرر يوم الاحد ٢٧ من العدة ١٢١٤

OSMANLI Arşivi